سيميائية الجسد الأنثوي في النظرة الرومانسية بين جبران خليل جبران ونزار قباني

الدكتور حسن كودرزي (الكاتب المسؤول)
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مازندران، إيران
h.goodarzi@umz.ac.ir
الدكتور حسين يوسفي
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مازندران، إيران
h.yosofi@umz.ac.ir
حبيب عقيل حبيب جلاب حمد ظاهر
طالب الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مازندران، إيران
hbybqylhbyb9@gmail.com

Semiotics of the female body in the romantic view between Gibran Khalil Gibran and Nizar Qabbani

Dr. Hassan Goodarzi (Responsible writer)
Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature , University of Mazandaran , Iran
Dr. Hussein Yosofi
Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature , University of Mazandaran , Iran
Habib Aqeel Habib Jalab Hamad Zahir
PhD student, Department of Arabic Language and Literature, University of Mazandaran, Iran

الملخص:-

تحاول الدراسة تشريح معالم الجسد الأنثوي بوصفه علامة سيميائية في نصوص جبران ونزار قباني حيث وتأتي أهمية هذا البحث من كونه يدرس سيمائية الجسد عند شاعرين عظيمين، استطاعوا أن يصيغوا اجمل القصائد وكانت لكل منهما نظرة خاصة حول الجسد الأنثوي، ولذا سيحاول البحث الإجابة عن أسئلة كثيرة. منها: من اين اتت دلالات الجسد في قصائد نزار وجبران؟ وكيف تشكّلت؟

ويسير البحث على المنهج السيميائي الذي يُعنى بالعلامات، والدلالات الموجودة في النصوص والوصول إلى ما وراء العلامة من معاني خفية، وعواطف ومشاعر.

الكلمات المفتاحية: الجسد، سيمياء، نزار قباني، جبران خليل جبران.

Abstract:-

The study attempts to dissect the features of the female body as a semiotic sign in the texts of Gibran and Nizar Qabbani. The importance of this research comes from the fact that it studies the semiotics of the body in two great poets who were able to formulate the most beautiful poems and each of them had a special view of the female body. Therefore, the research will attempt to answer many questions, including: Where did the connotations of the body come from in the poems of Nizar and Gibran? And how were they formed? The research follows the semiotic approach that is concerned with signs and connotations present in texts and reaching the hidden meanings, emotions and feelings behind the sign.

Key words: Body, semiotics, Nizar Qabbani, Gibran Khalil Gibran.

المقدمة:ـ

يمثل الاشتغال السيميائي على النصوص مستويات متعددة، فالسيمياء سيميائيات، فثمة سيمياء اجتماعية وثقافية ورمزية وبصرية وتواصلية ودلالية، وغيرها من الأنواع الأخرى التي قاربت النصوص الأدبية وغيرها من الفنون، وهنا سيتم الاشتغال على سيمياء العواطف أو سيمياء الأهواء، وذلك لأن نصوص الشاعر أحمد الصافي النجفي موضوع الدراسة يعكس حالة شعورية تتأسس على الأرق أو القلق الذي يشكل حالة من الهوى، أو الأزمة الاستهوائية، ولذا تغدو المقاربة في ضوء سيمياء العواطف عملية قادرة على الكشف عن الدلالات الكامنة في النص.

فالسيمياء كانت ولا زالت من المناهج المهمة في الكشف عن الأبعاد الإيحائية في النص، فكل شيء أصبح علامة حسب بعض القراءات السيميائية، ولكن الانتقال من سيمياء العمل والخطاب إلى سيمياء المشاعر المتصلة بالذات المبدعة، يمثل حالة من التطور في الدراسات السيميائية التي لا تقف عند دوسوسير وبيرس وموريس وإمبرتو إيكو، وإنما أرادت أن تعمد إلى معاينة العواطف والانفعالات من منظور مغاير لمنطوقات علم النفس، لأن سيمياء الأهواء ترتكز على الحالة العاطفية التي تعبر عنها الذات المبدعة.

ويغدو الاعتماد على سيمياء الجسد أو العلامة دون غيرها في هذه الممارسة القرائية كامناً في قدرتها على الكشف عن النوازع النفسية وحزمة الانفعالات وتحولها إلى حالة عاطفية منذ بداية القصيدة حتى نهايتها، ولذا فإن الاستعانة بمقولات سيمياء العلامة في هذا النص، يمكن أن تكشف عن تجليات دلالية منبثقة من الاهتمام بالانفعالات والعواطف المتصلة بالذات الشاعرة، وهي تبني نصها بناءً تسيطر فيه حالات من الهوى أو الشعور المسيطر.

تسعى سيمياء العلامة إلى بناء الدلالة للبعد العاطفي في الخطابات، وتسعى إلى إنتاج معانٍ مشفرة في الخطابات، فعلى النقيض من سيمياء الأشياء أو العمل والعالم الخارجي، فإن سيمياء الأهواء التي تتجسد في عواطف متعددة مثل الحب والقلق والكراهية والغضب والحزن والفرح والتذكر وغير ذلك تتعلق جذرياً بعالم الذات، وما يتلبسها من حالات انفعالية وما يسكنها من ومضات وجدانية، وهذا يعني أن سيميائيات الأهواء "تهتم بميدان

الانفعالية مثل الأدوار العاطفية والأهواء والأحاسيس، بينما تشكل الحالات النفسية المعقدة والمتباينة ميادين علم النفس أو التحليل النفسي". (خمرس، ص ١٤٧)

ويمكن تحليل الجسد الأنثوي عبر منظور السيميائية؛ إذ إن الجسد الأنثوي مشبع بتنامي العلامات، هو" موضوع يتم عرضه على مدركاتنا، ممزوجاً بالأشياء العادية والمألوفة في حياتنا اليومية.. تعكس الصورة النمطية المترسخة في المخيال العام، كما تعكس علاقة الفرد بجسده والعالم المحيط به " (ابراهيم،٢٠١١م، ص ٢١٥)

ولما كان الجسد الأنثوي لا يتورع عن ضخ المعاني والدلالات التي تسمح بتشييد دعائم متينة للقراءة والتأويل، فإن الشعراء والأدباء أفرغوا ما يحمله هذا الجسد ظاهراً وباطناً، وأنتجوا الدلالات التي تعبر عن عواطف متباينة تختلف باختلاف النظرة إلى هذا الجسد.

وانطلاقاً من كل ذلك جاء بحثنا الموسوم بـ(سيمائية الجسد الأنثوي) في شعر نزار قباني وجبران خليل جبران، ليدرس سيمياء الجسد الأنثوي عندهما والإشارات التي يشتغلان عليها، والألفاظ والصور التي أفرزها وجود الجسد.

وتأتي أهمية هذا البحث من كونه يدرس سيمائية الجسد عند شاعرين عظيمين، استطاعوا أن يصيغوا اجمل القصائد وكانت لكل منهما نظرة خاصة حول الجسد الأنثوي، ولذا سيحاول البحث الإجابة عن أسئلة كثيرة. منها: من اين اتت دلالات الجسد في قصائد نزار وجبران؟ وكيف تشكّلت؟

ويسير البحث على المنهج السيميائي الذي يُعنى بالعلامات، والدلالات الموجودة في النصوص والوصول إلى ما وراء العلامة من معاني خفية، وعواطف ومشاعر.

المبحث الأول

سيميائية جسد المرأة عند جبران

المطلب الأول ـ مفهوم جبران لـ"لانوثة" و"الذكورة"

وفقًا لخليل جبران، كاتب وفيلسوف لبناني لبناني، فإن "الانوثة" و"الذكورة" هما مبدآن كونيّان متكاملان ومتعادلان ضروريان لخلق التوازن والانسجام في العالم.

الأنوثة: يربط جبران الأنوثة بالطبيعة، والحدس، والقمر، والأرض.

إنها مبدأ الاستقبال، والرحمة، والرعاية، والحدس، وتوفر الأنوثة التغذية والدعم والحماية للعالم، كما أنها تمثل الجانب الوجداني والعاطفي للإنسانية. (خليل. النبي (١٩٢٣)، ص٢٢).

الذكورة: يربط جبران الذكورة بالشمس، والعقل، والعمل.

إنها مبدأ الإعطاء والعمل والإرادة.

توفر الذكورة الحماية والدعم والتوجيه للعالم.

كما أنها تمثل الجانب العقلاني والقوي للإنسانية.

التكامل والاعتماد المتبادل:

يؤكد جبران على أنه لا يمكن الخلل في أحد المبادئ دون إحداث خلل في الآخر. فالذكورة والأنوثة تعتمدان على بعضهما البعض لخلق توازن وتناغم في الحياة. (خليل. النبي (١٩٢٣)،ص ٢٢)

على سبيل المثال، تحتاج الذكورة إلى الأنوثة من أجل التوازن العاطفي والحكمة.

وبالمثل، تحتاج الأنوثة إلى الذكورة من أجل الحماية والدعم والقوة.

الانسجام الداخلي:

يؤمن جبران بأن كل فرد يحمل كلًا من المبادئ الذكورية والأنثوية داخله. يجب على الأفراد السعي إلى إيجاد التوازن بين هذين المبدأين من أجل تحقيق الانسجام الداخلي.

يمكن للنساء أن يدمجن خصائص ذكورية مثل القوة والعقلانية في شخصيتهن.

يمكن للرجال أن يدمجوا خصائص أنثوية مثل الرحمة والحدس في شخصيتهم.)، خليل. النبي (١٩٢٣)،ص ٢٢)

المطلب الثاني ـ الرمزية المرتبطة بجسد المرأة (الصدر، العيون، الشعر).

هناك رمزيات يمثلها حضور اجزاء من الجسد الأنثوي في الخطاب الأدبي، ومن الجدير بذكره هنا أن جبران وظف رمز المرأة بشكل عام بصورة مكثفة في أعماله، حيث تعد رموزها من الرموز الهامة التي تكرر حضورها عند جبران، وأما سيمائية الجسد فتتجلى في:

الصدر:

الأمومة: يُعبر الصدر عن الأنوثة والأمومة. يرى جبران أن المرأة تحمل في صدرها البذور الروحية للإنسانية، ويصفها بأنها "رحم الكون" (خليل. النبي (١٩٢٣) (في كتاب النبي).

الحقيقة: يمثل الصدر أيضًا الحقيقة والوعي. يعتقد جبران أن الحقيقة تكمن في قلب المرأة وحكمتها الداخلية.

العيون:

الذكاء: تُمثل عيون المرأة ذكائها وفهمها. يصف جبران عيون المرأة بأنها "نافذة الروح"، والتي تكشف عن حالتها الداخلية.

الجمال: تُعد العيون أيضًا رمزًا للجمال. يرى جبران أن جمال المرأة ينبع من عينيها، والتي تعكس نبض روحها.

الحب: تُعبر العيون عن الحب والحنان. يصور جبران العيون على أنها "مرايا الحب"، حيث ينعكس حب المرأة في عيون الآخرين.

الشعر:

الحرية والاستقلال: يمثل الشعر حرية واستقلال المرأة. يعتقد جبران أن المرأة يجب أن تكون قادرة على التعبير عن نفسها بحرية وأن تتخذ خياراتها الخاصة.

الغموض: تُعد الشعر أيضًا رمزًا للغموض والإغراء. يرى جبران أن الشعر الطويل للمرأة يضيف إليها هالة من الغموض والجاذبية.

القوة: في بعض الحالات، يمكن أن يرمز الشعر إلى قوة المرأة وعزيمتها. يصف جبران شعر المرأة بأنه "علامة قوة"، حيث تمثل طولها وقوتها الداخلية.

المصدر:

المطلب الثالث ـ المرأة والرجل في فكر جبران خليل جبران

يعدُّ جبران خليل جبران، أحد أبرز شعراء وكتاب القرن العشرين، وقد تطرق في أعماله الأدبية والفكرية إلى العديد من الموضوعات، من بينها علاقة المرأة والرجل. ويرى جبران أن العلاقة بينهما هي علاقة تكاملية، حيث يُكمل أحدهما الآخر، ويحتاج كلاهما إلى الآخر لتحقيق وجوده الكامل.

تساوي المرأة والرجل

يؤكد جبران على تساوي المرأة والرجل في الإنسانية والقيمة، ويقول في روايته "الأجنحة المتكسرة":

"أنتم أنتم وأنحن نحن، ليس بيننا سوى الفرق في الجسد، أما الروح فهي واحدة فيكم وفيّ، فعلام الغرور؟"

كما يرى أن المرأة والرجل لديهما عقل وقلب، ويجب أن ينميا هذه القدرات في أنفسهم، ويقول في كتابه "الرمل والنّغم":

"لأنك امرأة لا تعبئي إن كان عقلك في مكانك، لأنك امرأة لا عليك أن تتخذي القلب أداة لحياتك وموتك."

خصائص المرأة والرجل

على الرغم من اعتراف جبران بتساوي المرأة والرجل، إلا أنه يؤمن أيضًا بوجود خصائص وسمات مميزة لكل منهما. فالمرأة بالنسبة له تتميز بالحنان والعاطفة والحدس، بينما الرجل يتميز بالقوة والعقلانية والعمل.

ويقول في كتابه "النبي"

"أنتن لم تولدْن لتنبضْن داخل حدود الحياة، بل لتولدْن أبعد من حدودها، فأنتم أوسع من الرجال، وأحلى من الرجال، ولستم مستضعفات بل أنتم أقوى الرجال."

"فأنتم عمود الحياة وجذورها، وأنتم نسغ الحياة وثمرها، وأنتم من تعطين الحياة ويحملنها ويولدنها، وأنتم تحررن الرجال من جحيم الأرض إلى فردوس سماوي."

العلاقة التكاملية

ويرى جبران أن العلاقة التكاملية بين الرجل والمرأة ضرورية لنمو وتطور كليهما. وتتجلى هذه التكاملية في مختلف المجالات الحياتية، مثل الأسرة والحب والإبداع.

ويقول في روايته "حدائق النبي":

"أن الرجل والمرأة هما شريكان حياتيان. عقولهم وظائف متكاملة. الأدمغة هي الصدور، والصدر هو العقول. إن المجتمع الذي يقوم على التفوق الذكري أو التفوق الأنثوي مدان بالزوال."

ويضيف في كتابه "الأجنحة المتكسرة":

"أنتن أجمل أشجار في حديقة هذا العالم، كلّ فيكم زهرة تنشر العطر في الفضاء، وأنا نسيم يحمل من زهرة إلى أخرى، طائراً بين عبير نسيم إلى عبير نسيم."

الحب بين المرأة والرجل

يعتبر جبران الحب بين المرأة والرجل أحد أرقى وأسمى المشاعر الإنسانية. ويرى أن هذا الحب يجب أن يكون قائمًا على الاحترام المتبادل والحرية والانسجام الروحي.

ويقول في كتابه "النبي":

"الحب لا يعطي إلا ذاته، ولا يأخذ إلا من ذاته، والحب لا يملك ولا يريد أن يكون مملوكا، لأن الحب يكفي الحب."

الخلاصة:

ويرى العديد من النقاد أن أفكار جبران خليل جبران حول علاقة المرأة والرجل كانت ثورية في عصره، حيث ساعدت على تمكين المرأة وتعزيز المساواة بين الجنسين. ولا تزال هذه الأفكار ذات أهمية كبيرة حتى اليوم، وتساهم في تشكيل نظرتنا إلى العلاقات بين الرجال والنساء.

المبحث الثاني

سيميائية جسد المرأة عند نزار قباني

يمثل جسد المرأة عند نزار قباني رمزًا عميقًا ومليئًا بالدلالات، حيث استخدمه الشاعر السوري للتعبير عن مجموعة واسعة من المشاعر والأفكار المتعلقة بالعلاقات بين الجنسين والظلم الاجتماعي.

المطلب الأول ـ نزار قباني وجسد المرأة كرمز للشهوانية والقوة.

حظيت المرأة في شعر نزار، بالنصيب الأكبر من الاهتمام بكل ما يتعلق بها من شؤون وشجون، فكانت المحور الذي دارت حوله أشعاره للحديث عنها في كل صورها وأوضاعها، وإن كان الجسد لديها بكل ما يتسم به من سمات، وصفات، قد احتل عنده بؤرة اهتمامه، ومركز عنايته المكثفة.

إن القارئ المدقق في شعر نزار، يدرك الغنى والثراء الذي اتّسم به معجمه الشعري، فقد كانت لديه إمكانات لغوية واسعة مكنته من تطويع اللغة في أثناء تعبيره عن كل ما كان يجول في خاطره، وعن كل ما كان يدور في إحساسه. وقد ترتب على ذلك تنوع مفرداته، وغنى تراكيبه، الأمر الذي مكنه من القدرة التعبيرية دونما إحساس بالجهد والتكلف الذي يؤدي، في كثير من الأحيان، إلى الانزلاق اللغوي، أو إلى التصنع في إلباس الأفكار ألفاظاً مصنوعة، من شأنها أن تشوه جمال الفكرة، أو رونق التعبير. (العرود، ٢٠١٠م، ص٦٠)

يصور قباني جسد المرأة على أنه تجسيد للجمال والجذب، بما في ذلك عينيه "الشيطانتين" وصدره "الخوخي" وفخذه "الذي يطاول الفضاء". كما يقول في '

تعري.. فمنذ زمان طويل

على الأرض لم تسقط المعجزات

تعري.. تعري

أنا أخرس

وجسمك يعرف كل اللغات

(قباني، ١٩٨٣، ٧٦٨)

نزار، وفي حضرة جسد المرأة المتعدد اللغات، لا يجد ما يقوله، لذلك هو يعتبر نفسه أخرس، وبالنسبة إليه الأصم هو من لا يمتلك المقدرة للتعبير بجسده وليس بلسانه، وفي ذلك

تبيان لضعف اللغة الكلامية أمام اللغات الحركية، وتفوق لغة الجسد على لغة اللسان، وهو يطلب من المرأة أن تتعرى لكي تتفوق بلغة جسدها عليه، ولكي تسمح لكل عضو من أعضاء جسدها وبحرية مطلقة أن يعتبر كما يشاء، لذلك هو يعتبر تلك الأعضاء البائحة الصامتة، أعضاء تحمل المعجزات.

القوة والإرادة: على عكس الصورة النمطية للمرأة الضعيفة والخاضعة، يصف قباني النساء أحيانًا بالأقوياء والمتمردين، مما يرمز إلى عضلاتهن "الزرقاء" وقدرتهن على تحطيم القيود والقواعد المجتمعية يقول:

يا امرأةً تكسر حين تمر

جدار الصوتْ

لا جدوى للصوت أمام لغة الجسد

وكأن الجسد يحطم أي لغة خارجة عن لغته

(قباني، ١٩٨٣ ٤/ ١٧٩)

الإخصاب والأمومة: يرى قباني في جسد المرأة مصدراً للإبداع والحياة، ويحتفي بخصوبتها وقدرتها على الحمل والإنجاب. يقول:

أنا أُحبكِ في هذه الأجساد التي تلد

التي تخصب.. تنبت... لا تموت

(قباني، ١٩٨٣، ٤/ ١٦٧)

الشهوانية والمتعة: لا يخجل قباني من استكشاف البعد الحسي للمرأة، ويصف جسدها كمصدر للذة الجسدية والمتعة. يقول:

فهو سيفك يا امرأة

وفناك يا غابرةَ الأزمان

وحين تغمدينه في لجتي

تضيع حدود الزمان والمكان

(قصيدة "سيف بن ذي يزن")

الظلم والقمع: في قصائده حول النسوية وقمع المرأة، يستخدم قباني رمزية جسد المرأة للتنديد بالعنف والإساءة التي تتعرض لها النساء في المجتمعات الأبوية. يقول:.

إن دم الحمل في كفيكِ أجبني

أأنت ياكِ تاللّٰه أبريتي؟

(قباني، ١٩٨٣، ٤/ ١٦٧)

الأرض والوطن: في بعض القصائد الوطنية والقومية، يشبّه قباني جسد المرأة بأرض وطنه سوريا، مما يجعلها رمزًا للأمل والحب والتضحية. يقول:

سوريا حبيبتي

قطعة من أُمي وقطعة من مرايتي

وقطعة من الحبيبة في الفرات

(قباني، ١٩٨٣ ٤/ ١٧٠.)

وفي الواقع يمكن أن يمثل جسد المرأة في شعر نزار قباني رمزين رئيسيين:

١. رمز الشهوة

يرى قباني جسد المرأة كمنبع للشهوة والإغراء، بل إنه يرى فيه أداة لتقدير الجمال ورؤية الحياة من منظور جديد

"**امرأةٌ يلبسها عطر النساء ويغنيها هيكل الجسد الجميل؛**

"**افرشي من جسدك الغاب واستريحي فوق أناملي**"

(قباني، ١٩٨٣، ٥/ ١٧٧)

إن ذكر الجسد يحضر إلى الذهن الغواية والإغراء والرغبة، تستقضي مئات الصور الذهنية التي تستدعيها المؤثرات النفسية المرتبطة لا شعورياً بالجسد، حيث الغواية الحسية الكامنة، و (الذات) المؤنثة، و (الجسد) المشتهى، وهذا المذاق يثيره الجسد، الذي يجعل الشعر أكثر حيوية، وصوره متعددة الأبعاد، محتملة الدلالة. (الغذامي، ٢٠٠٦، ص ١٩٣)

٢. رمز القوة

إلى جانب الشهوة، يرى قباني جسد المرأة أيضًا رمزًا للقوة والسلطة. يصورها كقوة تحرك العالم وتسيطر عليه.

اصرخي، اهتفي

تنهدي،

ادخليني بغضبك واعتصري الثورة بين أفخاذك،

يا جسداً يهتف مثل الزلزال،

اصعدي واهبطي في الميادين كما الفرس الجامحة.

(قباني، ١٩٩٩، ص ٣)

نلاحظ أن نزار يوجه حديثه إلى الجسد الأنثوي لكي يثور على كل عادات وقيم المجتمع البالية، ويبدو أنه يختصر في الجيد الأنثوي جسد الأمة الواهن الرقيق لكي يثور ويمنح نفسه القوة.

يجدر بالذكر أن رمزية جسد المرأة في شعر قباني ليست ثابتة، بل تتطور وتتغير حسب السياق الشعري. ومع ذلك، فإن الثابت في هذه الرمزية هو اعتبار جسد المرأة منبعًا للجمال والرغبة والسلطة.

المطلب الثاني: استخدام نزار قباني للاستعارات الجسدية لإثارة المشاعر الجنسية

استخدم الشاعر العربي نزار قباني بكثافة الاستعارات الجسدية في شعره للتعبير عن المشاعر الجنسية بطريقة مثيرة. من خلال تصوير الجسد والجنس بطريقة مكثفة وحيوية، أثار قباني الرغبات والرغبات الجنسية لدى القراء؛ حيث " إنها لغة الجسد التي تستنطق الأخيلة،

وتثير الأوهام، وتحلّق بالنفس الإنسانية بعيداً عن عالم مجهول، تكتب سطوره النظرات والعبارات، بعيدا عن لغة القرطاس والقلم" (الأبهيشي، ١٩٩٣، ٢/ ٢٠٣)

تظهر الاستعارات الجسدية في شعر نزار قباني في مجموعة متنوعة من القصائد، بما في ذلك:

يتباهى نهد المرأة

على سائر أعضائها

كما تتباهى الدول العظمى

على دول العالم الثالث.

(قباني،١٩٨٣ ٥/ ٩٢)

فأجمل ما في المرأة يتباهى بنفسه وجماله هو النهد،. هو رمز الإغراء والأمومة في أن واحد غير أن نزار استخدمه كرمز الشهوة والاغراء الكبير.

لقد أدرك نزار قباني أن لغة الجسد الصامت لغة غامضة قد نستعيض بها عن الكلام، فالابتسامة لغة تواصل مثلها مثل الكلام وكذلك النظرة والإيماء وكثير من الداخل النفسي المتشابك يعبر عنه بالجسد، كالفرح والحزن والخوف والطمأنينة فيظهر ذلك كله ملامح الجسد، بالاضافة إلى اللباس الذي سيشكل شكلاً من أشكال التعبير أو رسالة للآخر." (أحمد، ٢٠٠١، ص ١٠٠).

الخلاصة:

من خلال استخدامه الماهر للاستعارات الجسدية، نجح نزار قباني في إثارة المشاعر الجنسية لدى قرائه. فقد صور الجسد والجنس بطريقة مثيرة ومتحمسة، مما أثار الرغبات والرغبات الجنسية وأوصل قوة الرغبة الإنسانية.

المطلب الثالث: المرأة كرمز للحرية

استخدم نزار قباني المرأة في شعره كرمز للحرية بعدة طرق:

باعتبارها رمزاً للانعتاق من القيود المجتمعية: يرى قباني المرأة كشخص مستقل ومتمرد

على القيود الاجتماعية المفروضة عليها، فهي ترفض الأعراف والتقاليد التي تقيد حريتها وتحد من طموحاتها.

أُريدُكِ أُنثى..

لأنَّ الحضارةَ أُنثى..

لأن القَصيدةَ أُنثى..

وقارورةَ العطر أُنثى

(قباني، ١٩٨٣، ٢/ ٨٢٧)

يحاول نزار أن يجعل المرأة ثائرة على كل الاوضاع التي تجعلها جارية تباع وتشترى بالمال، فدفعها إلى التمرد على كل شيء يحاول طمس إنسانيتها فهي ليست وعاء وعورة تلك النظرة التي التصقت بها قروناً طويلة.) التهامي، ٢٠٠٦، ص ٧٠).

باعتبارها رمز الانفتاح: أن المرأة في شعر نزار عبارة عن مثير ثابت فهذه المرأة ينتج كل جزء فيها الف صورة ويحرك مكنوناته مما يجعله يتفنن في رسم لوحات فنية بالكلمات مما يضفي على هذه اللوحات جمالا لا ينتهي فظلت المرأة عنده كتاباً مفتوحاً وموسوعة لا حدود لها وهذه الحقيقة أكدها شعره الذي نظمه قبل وفاته بثلاث سنوات. (الحاوي، ١٩٧٣، ص ٦).

بعد خمسين عاماً

من التحصيل الابتدائي والمتوسط والعالي

لازلت أتعلم كيف احب امرأة

وكيف اعتني بشمع يدها.

(قباني، ١٩٨٣، ص٩)

المبحث الثالث

المقارنة بين نظريتي جبران خليل جبران ونزار قباني حول سيمائية الجسد الأنثوي

تميز كل من جبران خليل جبران ونزار قباني بنظرتهما المختلفة إلى الجسد الأنثوي؛ فنجد أن جبران نظر إلى جسد المرأة نظرة مزيج من النزعة الصوفية والرومانسية.

عند النظر إلى جسد المرأة في رموز جبران الرومانسية فنجد أنه كلما برع في وصف محاسنها وجمالها من خلال جمعه بين حضورها مقروناً بحضور مظاهر الطبيعة في أدق تفاصيلها ليعبر عن مشاعر الحب والسعادة والتعاطف. (جبران، ٢٠٠١، ج١/ ص٩٧- ١٠٠).

فعندما نظر جبران إلى الجسد الأنثوي برر اخطائه وانحرافه محملاً المجتمع وزر انفلاته، وفي نظرته الصوفية تبدو المرأة الجسد آدمية تحدها تفصيلات هذا الجسد الأنثوي الفاتن وتعيش حياتها ولكنها تسمو عن المرأة العادية لترتبط بمدلولات وعقائد صوفية كالتقمص الذي يشير إلى حلم تحقيق الخلود في عالم السعادة فيصفها بالصبية التي تجر اذيالها وبابنة الأمير التي يقول على لسانها " أنت رفيق نفسي الذي فقدته عندما حكم على بالمجيء إلى هذا العالم " (جبران، ٢٠٠١م، ج ٢/ ٥٨٣.)

وخلاصة ما تقدم لقد اغرق جبران في توظيف الجسد الأنثوي بطريقة خصبة وإمكانيات عظيمة أتاحتها له نزعته الصوفية والرومانسية فانطلق به من حدودها الجسدية ليعالج قضايا مجتمع المختلفة ليصل إلى تجريدها من سلطة الجسد بعدما خلع عليها صفات الترفع والغرابة فجعلها امرأة هيولية أثيرية.

في حين ان الجسد الأنثوي في شعر نزار أخذ طابع الثورة، حيث كان نزار يدرك أن تحرير الجسد والحس والشعور وهو الذي يضمن الحياة المدنية، فأراد تحويل الاغتراب عن الجسد إلى وجهة أخرى من خلال إشهار جسد المرأة المخفي، ووضعه على مسرح الخطاب غير أن نزار لا يستقر على حال، متقلب كالبخر في صعود وهبوط رضاه لا يدوم، وشوقه يخفت تارة ويشتعل أخرى ليس له أمان، قد ينقلب فجأة فيدبر ويكشر عن أنيابه فتتحول ازهار الفل التي يرسمها لمعشوقاته سهاماً تجرح وتهين وتكيل العبارات القاسية فهذه يتهمها بالبرد وتلك بعدم قدرتها على جذبه، وأخرى لا تملك تجربة الحب وكان نزار يبحث باستمرار عن الإثارة والاشتعال.. يريد امرأة ذات تجربة (الحاوي، ١٩٧٣، ط ١، ٧٤)

احبك بأعصابي

أحبك بريشتي، أحب بكلية

لا اعتدال.. ولا عقل

(قباني، ١٩٩٣، ص ٣٤)

لقد كان نزار يدعو إلى هدم الحواجز بين المرأة والرجل من الناحية الجنسية بالدرجة الأولى وتحرير ذاتها بالدرجة الثانية وتأسيس علاقة متكافئة بين الرجل والمرأة فقد كان في كثير من الأحيان غائباً عن شعره فنراه يتحدث عن المرأة ويصف جسدها دون خجل أو عجز، فهو الذي دخل حيز المرأة، وأخرج ما تخفيه من أسرار تحت وسادتها، وكشف للعيان وتحدث باسمها وأعلن ثورتها حينما ضاقت بها الألاعيب فأعلنت جزعها من حب ذلك الرجل وتغييره بها وخداعها لقلبها، وحينما حاولت أن تضمه على صدرها.. فلم تجد بين ذراعيها عدا الريح، ولم تجد غير نزار يصرح على لسانها ويكوّن كيانها ويحرر ذاتها. (الحاوي، ١٩٧٣، ص ٧٥)

خلاصة الفرق بين نزار وجبران: جاء جبران بالجسد الأنثوي ودمجها مع الطبيعة ليخرج بنظرة صوفية تفيد التمرد على السمن الاجتماعية، لكن هذا التمرد تمرد معنوي على الاعراف والقيم وليس لاعلاء سلطة الجسد إنما من أجل أن تكون لها مكانة في المجتمع، في حين أن نزار حاول أن يجعل المرأة تخرج من سلطة الجسد وتفرد جسدها دونما خوف أو خجل لأنه رأى في ذلك سبيلاً لتحرر المرأة في كافة النواحي.

الخاتمة:

نتائج تأثير نظريتي جبران خليل جبران ونزار قباني في الخطابة الرومانسية العربية:

- التعبير عن العواطف الجياشة: ألهمت نظريتا جبران ونزار الخطابة الرومانسية بالتعبير عن العواطف الجياشة من خلال اللغة المجازية والصور الشعرية.
- استخدام اللغة الشعرية: استفادت الخطابة الرومانسية من لغة جبران الشعرية الغنية ونزار قباني الحماسية لإضفاء جو رومانسي وخلق تأثير عاطفي.

- مخاطبة المشاعر الفردية: ركزت نظريتا جبران ونزار على مخاطبة المشاعر الفردية واستكشاف جوانب العلاقة العاطفية.
- استحضار الخيال: استعانت الخطابة الرومانسية بعناصر الخيال والرمزية لإضفاء جو ساحر وإثارة مشاعر المستمعين.
- استخدام الأساطير والقصص: استلهم الخطباء الرومانسيون من الأساطير والقصص لخلق تشابهات رومانسية وإبراز طبيعة الحب العالمي.
- الدعوة إلى التحرر العاطفي: شجعت نظريتا جبران ونزار على التعبير الحر عن العواطف وكسر الحواجز المجتمعية.
- إبراز قوة المرأة: سلطت نظريتا جبران ونزار الضوء على قوة المرأة في العلاقات الرومانسية وأهمية المساواة العاطفية.

التوصيات:

- الاستمرار في استلهام نظريتي جبران ونزار قباني لتعزيز الخطابة الرومانسية العربية.
- تشجيع استخدام اللغة الشعرية المجازية لخلق تأثير عاطفي في الخطاب الرومانسي.
- الاستفادة من الأساطير والقصص لإثراء الخطابة الرومانسية والسماح للمستمعين بالتفاعل مع رسالتها.
- الدعوة إلى التعبير الحر عن العواطف وإزالة الحواجز المجتمعية التي تعيق الخطاب الرومانسي.

قائمة المصادر والمراجع

١. آليا الحاوي، نزار قباني شاعر المرأة، دار الكتب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣، ط ١،

٢. التهامي الهاني، الوطن والمرأة في شعر نزار قباني، صامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ط ١

٣. جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة، دراسة وتحليل نازك سابايارد، مؤسسة بحسون، د. ط، لبنان ٢٠٠١،

٤. جبران، خليل جبران النبي (١٩٢٣). نيويورك: ألفريد إيه.

٥. حميدوش أحمد شعرية المرأة وأنوثة القصيدة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.

٦. خمري، سيميائية التمشهد وبلاغة الذات، الملتقى الدولي السادس السيمياء والنص الأدبي.

٧. شهاب الدين الأبهيشي، المستطرف في كل فن مستظرف، دار الكتب العلميه، بيروت، ١٩٩٣،

٨. عبد الله إبراهيم، السرد النسوي، الثقافة الأبوية، الهوية الأنثوية والجسد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١١م، ص ٢١٥.

٩. عبد الله الغذامي، المرأة واللغة، الدار البيضاء، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٦،

١٠. على أحمد العرود: جدلية نزار قباني في النقد العربي الحديث ط:،١ إربد: دار الكتاب الثقافي، ٢٠١٠م،

١١. نزار، قباني، ديوان يوميات امرأة لا مبالية، منشورات نزار قباني، ١٩٩٩.

١٢. نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباتي، بيروت، ط ١٢، ١٩٨٣.